

الوجود، فإن وَحْدَة الوجود تؤدي إلى «الفناء»، أي الذوبان التام للجزء الإنساني في الكلِّ الكوني أو الطبيعي/ المادي .

ولم يكن الإنسان وحده، هو الذي تم تقويضه وتفكيكه . بل تم تقويض مفهوم الكليات والمرجعيات والجوهر والذات والموضوع، فهذه كلها قصص كبرى، ودعاة ما بعد الحداثة يرون أن أقصى ما يطمح الإنسان إلى معرفته هو القصص الصغرى، وهي قصص (أو نظريات أو مرجعيات) ليست لها مقدرة تفسيرية شاملة، وليست لها أية شرعية تتجاوز حدودها . وبذلك دخلت الحضارة الغربية في مرحلة السيولة الشاملة، وقنعت بأن تدور حول مجموعة من المدلولات غير المتجاوزة، التي ليس لها معنى مادي محدد، فهي حضارة دخلت في لعب الدوال وعالم الألعاب اللغوية، وأقلعت عن المحاولات التي بذلتها في عصر التحديث والحداثة لضبط لعب الدوال هذا . ولنضرب بعض الأمثلة على ما نقول . . ولنا أن نلاحظ أن الأمثلة التي نضربها هي سبب ونتيجة في ذات الوقت، فهي ظواهر اجتماعية تظهر نتيجة عمليات الترشيد الإجرائي والتسلُّع، وينجم عنها إعادة التسمية وفك علاقة الدال بالمدلول، ولكن إعادة التسمية ذاتها تؤثر في الواقع الاجتماعي .

وقد أشرنا من قبل إلى أهم الدوال «الإله» و«الإنسان»، ويمكن أن نشير هنا إلى أهم وَحْدَة اجتماعية «أسرة» . واصطلاح «أسرة» الذي كان يشير إلى رجل وامرأة وأطفالهما فقد مدلوله تماماً؛ إذ أصبح يشير في الغرب إلى أي ترتيب مستمر أو مؤقت بين أي عدد من البشر من أي جنس : ذكوراً كانوا أم إناثاً أم من المخنثين (أي أن الأسرة مثل النص ما بعد الحداثي، منفتحة تماماً، وقعت في قبضة الصيرورة، وهي تحمل عدداً من المعاني يجعلها أقرب إلى اللامعنى!) . ولعل هذا نتيجة انفصال دال عن مدلول آخر . فعلم النفس الغربي أسقط مفهوم «انحراف» (تماماً مثلما أسقطت العلوم الإنسانية مفهوم المعيارية، بل ومفهوم الطبيعة البشرية)، بحيث أصبح كل شيء تقريباً مقبولاً . وأصبح من المستحيل الحديث عن إنسان سويٍّ وآخر شاذ، بل ولا عن طبيعة بشرية تتسم بشيء من الثبات . . وهذا يشكل سقوطاً كاملاً في قبضة الصيرورة .